Journal of Engineering Sciences
Assiut University
Faculty of Engineering
Vol. 42
No. 5
September 2014
PP. 1317–1335

أثر مشاريع تطوير مراكز المدن التراثية على المجتمعات المحلية
مشروع تطوير منطقة عقبة بن نافع – السلط نموذجا

ميساء علي الشوملي

كلية العمارة - قسم التخطيط البيئي جامعة البلقاء التطبيقية

تاريخ الورود 13 سبتمبر 2014 ; تاريخ القبول 24 أكتوبر 2014

ملخص

قامت حكومة المملكة الأردنية الهاشمية بالاتفاق مع البنك الدولي واليابان وغيرهما من الدول المانحة بإجراء العديد من مشاريع التطوير لوسط المدن التراثية، ومنها مشروع تطوير وسط مدينة السلط التراثي، حيث شمل هدم أبنية حديثة أقيمت في الستينات والسبعينات من القرن الماضي على نمط العمارة الحديثة، ومنها مدرسة عقبة بن نافع المبنية عام 1960 مع بعض الأبنية التجارية حولها والمشكّلة لما يعرف بمثلث عقبة، من أجل إقامة مشروع يتضمن ساحات وبعض الخدمات مكانها، مما حدا بالسكان والتجار الاحتجاج ضد القرار.

تطرح هذه الورقة عدة تساؤلات:
1- ما هو أثر مشروع التطوير في وسط المدينة التراثي على المجتمع المحلي وظيفيا واقتصاديا وثقافيا؟
2- ما مدى ملاءمة وتلبية مشاريع التطوير لحاجيات وأولويات أهل المدينة؟
3- ما مدى مشاركة المجتمع المحلي بقرار الهدم وبرنامج المشروع ككل، وما مدى رضاه عنه؟
4- هل لمبنى مدرسة عقبة بن نافع قيمة وأهمية خاصة تستحق الحفاظ عليه وعدم هدمه شأنه كشأن أي بناء آخر؟

تناقش الورقة التساؤلات من خلال استخدام المنهج التحليلي لمعايير الحفاظ عبر المواثيق الدولية المتعارف عليها والنظريات المتعلقة بالتراث الحديث، وتتبع نظرياتها وتطورها، ومن خلال استخدام المنهج الإحصائي التحليلي عبر مجموعة من الاستبانات والمقابلات في دراسة ميدانية للخروج بنتائج وتوصيات.
حيث خلصت الورقة إلى ضرورة عمل استراتيجية ومخططات هيكلية للمدينة كي تكون مشاريع التطوير هذه جزءا من الاستراتيجية الكاملة لا مشاريع منفردة بعيدة عن احتياجات المدن وأهلها، وتؤكد الورقة على ضرورة المشاركة الشعبية في اتخاذ القرارات المؤثرة على أهل هذه المدن وتحقق رضى أصحاب العلاقة.

تحاول هذه الورقة أن تكون سبّاقة في دق ناقوس الخطر حيال الإهمال والهدم لأبنية التراث الحديث التي لا يعترف بها أغلب العالم العربي كتراث ذي قيمة، والتي هي جزء له قيمة في حاضرنا وستكون جزءا من تراثنا القادم، كي لا تتعرض للهدم والإهمال كالأبنية التراثية قبل وعي وإدراك العالم العربي بقيمته كتراث ثقافي.

بالنهاية تؤكد الدراسة على ضرورة احتواء فريق الدراسة على خبراء اقتصاديين واجتماعيين إضافة إلى المخططين والمهندسين لعدم إغفال الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لأي مشروع حيث نتج الضرر الاقتصادي ونقص الخدمات.

الكلمات المفتاحية: السلط، المدن العربية، الساحة، الحفاظ العمراني، التراث الثقافي، مراكز المدن التراثية، تخطيط مواقع تراثية، قيمة ودور المكان، ذاكرة المدينة، أبنية التراث الحديث.

1. مقدمة حول مشاريع الحفاظ في الأردن

برزت مشاريع الحفاظ في الأردن على المستويين المعماري والحضري منذ التسعينات تمثلت في العديد من المشاريع التي اعتمدت على السياحة كرافد للاقتصاد، حيث نشطت مشاريع تطوير وسط المدن التراثية وظهرت العديد من المشاريع السياحية التي تبنت تطوير وسط المدن التراثية، من أمثلة ذلك المشروع السياحي الثالث الذي جذب التمويلات الخارجية للمنظمات الدولية عن طريق البنك الدولي لتطوير خمس مدن أردنية تراثية وهي الكرك، مادبا، السلط، جرش وعجلون، وابتدأ العمل منذ عام 2004 وبعضه لم ينته حتى الآن (وزارة السياحة والآثار، 2004)

شكل (1): مدينة السلط في المملكة الأردنية الهاشمية

2. مشكلة البحث

رافقت عمليات التطوير للمدن التراثية إقامة مشاريع في أواسط المدن التراثية مثل مشروع تطوير وسط مدينة السلط التراثي – تطوير منطقة عقبة بن نافع، قام هذا المشروع وغيره كمشاريع منفردة دون أن تكون جزءا من استراتيجية تخطيط المدينة ككل.

لأسباب مختلفة رآها أصحاب القرار، (منها القضاء على الأزمة المرورية في وسط مدينة السلط التراثي، وإقامة مشروع ساحات وفراغ حضري في منطقة عقبة بن نافع) استلزم لإقامة المشروع هذا تفريغ وهدم لأبنية في مثلث عقبة، وهي أبنية حديثة تجارية ومدرسة عقبة بن نافع، كونها ليست أبنية تراثية قديمة.

تبحث هذه الورقة فيما إذا كانت الأبنية المهدومة الحديثة وتحديدا -مبنى مدرسة عقبة بن نافع- فيما إذا كان يحمل قيما وأبعادا مختلفة وله أهمية وظيفية وقيم مختلفة عدا القيمة التاريخية، وما أثر المشروع وهدمها على السكان والأهالي والتجار من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والوظيفية، وتمكين تجار وسط البلد اقتصاديا.

كما تبحث هذه الورقة في تلبية المشروع لاحتياجات أهل المدينة وتقيس رضى أصحاب العلاقة عن هذا المشروع.

3. هدف البحث

يهدف البحث إلى دراسة أثر مشروعات التطوير في وسط المدينة التراثي على المجتمع المحلي وظيفيا واقتصاديا وثقافيا، ومدى ملاءمتها لحاجيات وأولويات أهل المدينة، كما يهدف أيضا إلى:

1- تسليط الضوء على أهمية الحفاظ على أبنية التراث الحديث في مشاريع تطوير المدن التراثية.
2- ضرورة إجراء دراسة شمولية اقتصادية اجتماعية وظيفية عند إجراء مشاريع تطوير مراكز المدن التراثية.
3- بيان أهمية المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار لتخرج المشاريع ملبية لحاجات المواطنين وأصحاب العلاقة.

4. منهجية البحث

تقوم الدراسة بتقصي آثار هدم المدرسة على الناس عبر دراسة لأهميتها وقيمتها لدى أهالي مدينة السلط استخدمت كلا من المنهج التحليلي عبر دراسة النظريات المرتبطة بالتراث وذاكرة المدينة، إضافة إلى توضيح مفهوم التراث الحديث والمعاني والقيم الثقافية والاجتماعية التي يحملها المبنى لدى أهالي مدينة السلط، وتبحث رضى أصحاب المحال التجارية التي استملكت وتقرر هدمها والدور الاقتصادي الذي كانت

تلعبه، وأيضا من خلال المنهج التحليلي الإحصائي وذلك من خلال 150 استبانة و50 مقابلة إضافة إلى المراقبة والزيارات العديدة للموقع ومناقشة الأهالي والمستخدمين وأصحاب العلاقة، وللاستشهاد أيضا فقد تم وضع منشور على إحدى صفحات الفيس بوك الخاص بالمدينة وسؤال الناس حول رأيهم بهدم المدرسة، حيث أتت النتائج والتعليقات مؤيدة لما تم استخراجه من إحصاءات للاستبانة.

كما تتطرق الدراسة عبر المنهج الإحصائي بيان تأثير الهدم على القوة الشرائية للمحال التجارية في المنطقة واستكمال الخدمات الوظيفية عبر دراسة إحصائية للتجار والسكان والمارة.

وتقيس الدراسة مقدار الرضى الشعبي والمشاركة الشعبية لهذا المشروع الحساس عبر الدراسة الإحصائية أيضا.

5. عناصر مشروع التطوير الحضري والسياحي لمدينة السلط: (بلدية السلط، 2004)

شمل المشروع عدة عناصر منها ما يتعلق بأعمال البيئة العمرانية وهو ما تهتم به هذه الدراسة، ومنها ما يتعلق بأمور أخرى كما يتبين:

أ- التحسين العمراني:

1- تطوير شبكة الطرق والخدمات. 2- تطوير ساحة العين. 3- إعادة تأهيل مسجد السلط الكبير. 4- إعادة تأهيل موقع مدرسة عقبة بن نافع. 5- إعادة تأهيل واجهات المباني حول بعض الشوارع الهامة.

ب- الأحكام التنظيمية

ت- بناء القدرات المؤسسية.

ث- تنمية الاقتصاد المحلي.

جـ- صندوق تراث السلط.

6. مشروع تطوير وسط مدينة السلط و مناطقها

مشروع تطوير وسط مدينة السلط هو ضمن المشروع السياحي الثالث والممول من البنك الدولي، حيث احتوى إلى جانب اعتماد الأحكام التنظيمية وبناء القدرات المؤسسية وبرنامج المنح والقروض والدعم الفني للتنمية الاقتصادية المحلية على محورين اثنين أحدهما إحياء وتأهيل وسط المدينة (ساحة العين)، والذي تضمن تأهيل مسجد السلط الكبير مع هدم بعض الأبنية الحكومية، والمحور الثاني تأهيل منطقة عقبة بن نافع، والذي تضمن هدم مدرسة عقبة بن نافع وبعض الأبنية التجارية حولها.

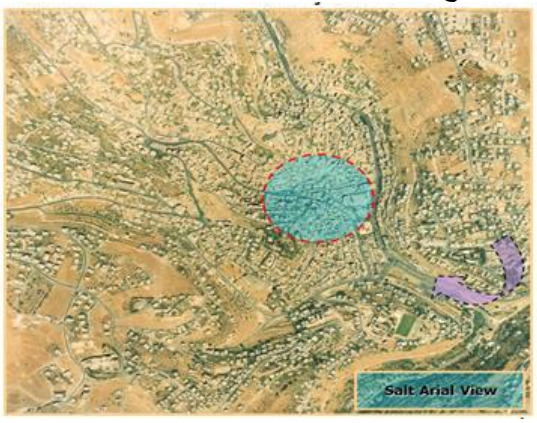

شكل (2): صورة جوية لمدينة السلط، وتبدو منطقة وسط المدينة التراثي – منطقة الاستهداف

1.6. مشروع تطوير ساحة العين

رافق مشروع تطوير ساحة العين هدم لبعض الأبنية الخدمية والحكومية كمجمع الدوائر الحكومية والمركز الأمني التي تقع في ساحة العين أمام المسجد الكبير، وهي ذات طابع حديث بنيت في السبعينات وتم هدمها في 2007م وتم بناء ساحة مكان هذه الأبنية بها بعض الخدمات حيث انتهت الأعمال بها عامي 2013 و 2014.

تم نقل موقع الأبنية الحكومية من وسط المدينة إلى موقع عند بوابة المدينة لأن هذه الأبنية كما رأى أصحاب القرار تسبب مشاكل وازدحامات مرورية في وسط المدينة، وتسبب في تشويه النسيج العمراني للمنطقة المحيطة بساحة العين (بلدية السلط، 2006). وفي دراسة حديثة (الشوملي، 2014) تبين استمرار الأزمة في وسط المدينة رغم نقل الأبنية الحكومية منها وتشكل أزمة مرورية جديدة عند الموقع الجديد عند بوبة المدينة، كما تبين أن عامل الأمن قد اختل في وسط المدينة بعد انتقال المركز الأمني منها.

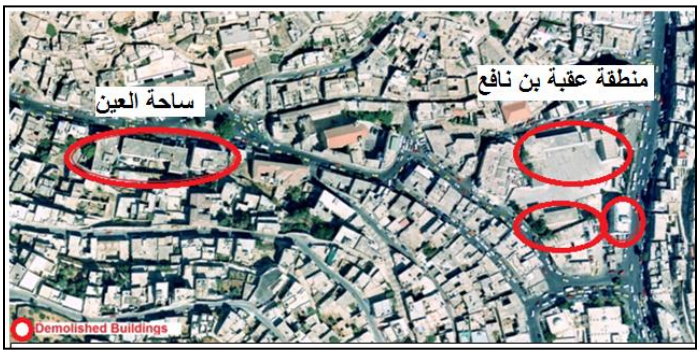

شكل (3): صورة جوية لوسط المدينة مبينا عليها الأبنية المهدومة في مشروع تطوير وسط مدينة السلط التراثي حيث تظهر على يمين الصورة أبنية مدرسة عقبة وعلى يسار الصورة مع امتداد الشارع الأبنية الحكومية المهدومة- المصدر: جوجل ايرث بتصرف من الباحث

شكل (4): منطقة مدرسة عقبة بن نافع والمباني المحيطة التي هدمت على شكل مثلث– المصدر: بلدية السلط، 2008

2.6. مشروع تأهيل منطقة عقبة

ضمن مشروع تأهيل منطقة عقبة كان القرار بإخلاء مثلث عقبة المحاط بالشوارع كما يبدو في شكل (4) حيث كان هذا المثلث عبارة عن بستان لغاية الخمسينات، وبعدها بنيت المدرسة من عدة أبنية على طراز العمارة الحديثة ومن الحجر الأبيض لا الأصفر كأبنية السلط التراثية والتي سيتم توضيحها لاحقا، إضافة إلى مجموعة من الأبنية التجارية التي شكلت المثلث. وفي دراسة سابقة للجمعية العلمية الملكية "السلط خطة عمل" (الجمعية العلمية الملكية، 1990)، كان هناك مقترح بتفريغ منطقة عقبة من الأبنية وإعادتها فراغا حضريا في وسط المدينة، فتبنت البلدية هذا المقترح وشرعت بتنفيذه عام 2007 وقامت باستملاك بعض الأبنية مع المدرسة وهدمها، وبقيت بعض الأبنية الأخرى معلقة بالمحاكم بانتظار البت في

القضايا التي رفعها أصحابها على البلدية رفضا للهدم، أثناء هذه الفترة التي استمرت لأكثر من ست سنوات بقيت المنطقة فراغا مهدوما في وسط المدينة دون أي تدخل من البلدية أو من أي جهة أخرى، مما دعا الناس لاستخدامها كمواقف عشوائية للسيارات حيث اتسعت لأكثر من (300) سيارة، وانتشرت بها بسطات بيع الخضرة شكل (9)، وانتهت هذه القضايا بالحكم لصالح البلدية عام 2014، إذ بدأت مباشرة العمل ثانية لاستكمال المشروع المقترح.

هدف المشروع المقترح إعادة المنطقة المثلثة إلى فراغ في وسط المدينة كسابق عهده مع إقامة ساحات ومظلات وأشجار وبعض الأبنية كسوق للخضرة، وأيضا سيؤمن المشروع (130) موقفا للسيارات في طابق التسوية تسد حاجة المشروع ولكنها لا تعتبر موقفا مركزيا للمنطقة لسد حاجتها، وتضمن المشروع بعض الحلول المرورية والتوسعة لأحد الشوارع وتبليط شارع آخر ومنع استخدامه للسيارات وجعله فقط للمشاة ، إذ تأمل البلدية أن تساعد في حل المشكلة المرورية كما يبدو في شكل (5).

شكل (5): صورة بانورامية متوقعة للمشروع – المصدر: بلدية السلط، 2014

7. نظريات "التراث الحديث" وتطور النظرة إلى أبنية العمارة الحديثة

لفترة طويلة كان مقياس أهمية البناء ووجوب الحفاظ عليه ومنع هدمه عائد إلى عامل الزمن، فكلما قدم المبنى كلما زادت قيمته الثقافية والتراثية، لكن اليوم ومع تطور نظريات الحفاظ لم يعد عامل الزمن هو العامل الوحيد الذي يعطي للأبنية والمواقع قيمتها التراثية وإنما تضبط الأمور وتصنف الأبنية الحديثة المهمة ويقرر الحفاظ عليها ويمنع هدمها (Prudon, 2008)، بناء على معايير لتصنيف هذه الأبنية واعتبار أهميتها، فليس كل بناء حديث بالضرورة هو من الأبنية التراثية الحديثة.

وبناء على ذلك ينتقد البرفيسور جودي لوتش عميد كلية البحث والدراسات العليا في جامعة كارديف الإهمال بالتعامل مع أبنية التراث الحديث والذي سيقود بالضبط إلى ما جرى من إهمال للأبنية التراثية، ويحذر من لوم أنفسنا لعدم اهتمامنا بها وقتها (Loach, 2009,).

1.7. مدرسة التراث الحديث

تم تأسيس منظمة ال DOCOMOMO[1] عام 1988 من قبل المعماريين الهولنديين هيوبرت هينكيت وويسل إيندهوفن للعناية بما يسمى تراث العمارة الحديثة، حيث تحولت إلى حركة دولية ترأسها

[1] مركز DOCOMOMO هو مركز توثيق وحفاظ المباني والمجاورات للحركة الحديثة، وهو الجهة الدولية العاملة على توثيق وحفظ الأبنية والمواقع والأحياء لحركة الحداثة: DOCOMOMO: International Working Party for Documentation and Conservation of Buildings, Sites and Neighborhoods of the Modern Movement

إيندهوفن كأمين عام، وتم تأسيس مؤتمر دولي يعقد كل سنتين حيث يتلاقى المهتمون بالحفاظ من كل العالم لتبادل المعارف والآراء (ويكيبيديا، 2014).

2.7. برنامج التراث الحديث

قام كل من مركز التراث العالمي لليونسكو والمجلس العالمي للأثار والمواقع ICOMOS والمركز العامل للتوثيق والحفاظ على المباني والمجاورات للحركة الحديثة DOCOMOMO في عام 2001 بتأسيس برنامج مشترك تتلخص أهم أهدافه في التعريف والتوثيق والتعهد بالحفاظ على تراث القرنين التاسع عشر والعشرين تحت مسمى "برنامج التراث الحديث" Program of Modern Heritage. ومن تم توالت اللقاءات والاجتماعات الإقليمية للتراث الحديث، وتوالت المنظمات العالمية والمؤسسات والأكاديمية للاهتمام به وعقدت المؤتمرات الدولية وفي مختلف القارات للخروج بمواثيق وتوصيات للحفاظ على التراث الحديث.

3.7. أهم بنود وتوصيات المؤتمرات الدولية المتعلقة بالتراث الحديث

أ- تم الاتفاق على أن أبنية التراث الحديث لها من الأهمية كالأبنية التاريخية، وتكمن أهميتها بناء على عوامل عديدة تحدد قيمتها ورمزيتها لجوانب اجتماعية، ثقافية، سياسية، إنشائية وغيرها، وذلك بغض النظر عن حداثتها بأنها ليست أبنية تاريخية.
ب- تطوير خطة لكيفية التعامل مع تراث القرنين التاسع عشر والعشرين، وتوثيق هذا التراث.
ت- تم الاتفاق على كيفية تحديد وحماية والحفاظ على المباني والمواقع المبنية خلال العقدين الأخيرين.
ث- تم الاتفاق على إنشاء إطار فكري واضح لتجديد هذا التراث.
ج- تم إصدار قرارات تمنع الهدم للأبنية ذات القيمة والتي ترجع للفترة الحديثة بغض النظر عن حداثتها.
ح- إن اختلاف الرمزية أو التصنيف لا يلغي كونها منتجات وتعبير مادي عن الحضارات المتعاقبة والتي توافدت على المدن يتم الاعتراف بها كإرث قومي ولو عبرت عن ثقافة الآخر.
خ- هذه الأبنية تمثل جزءا هاما من الفراغ العمراني أو بؤرا معمارية بصرية تعرّف هذا الفراغ وترتبط بالذاكرة الجمعية للأماكن لتبقى أبنية ذات قيمة، وهذا يقودنا إلى تأكيد ما ذكره رسكن Ruskin, (1989) أن المدينة ما هي إلا تراكم تاريخي لحضارات مختلفة تتعاقب بالزمان وتمثل تراكم حقبات زمنية متعددة لكل منها أذواق مختلفة (القاضي، 2006).

وبالتالي يمكن إجمال أهمية أبنية التراث الحديث في تمثيلها ما يلي:

أ- تمثيل هذه الأبنية للتراث للفترة القادمة.
ب- تمثل هذه الأبنية جزءا من تاريخ هذه المدينة وللحقبات المعمارية والسياسية التي مرت عليها، كما أنها تمثل جزءا ماديا للتعبير عن الحضارات المتعاقبة ولو عبرت عن ثقافة الآخر.
ت- هذه الأبنية تمثل جزءا هاما من الفراغ العمراني أو بؤرا معمارية بصرية تعرّف هذا الفراغ وترتبط بالذاكرة الجمعية للأماكن لتبقى أبنية **ذات قيمة.**

4.7. تطور تطبيقات ومعايير الحفاظ على التراث الحديث

ومن ثم توالى الاهتمام فلم تعد النظرة للأبنية الحديثة ضمن التساؤل فيما إذا كان التراث الحديث بحاجة إلى حفاظ أم لا، حيث عقدت مؤتمرات للمبادرات وللحفاظ على التراث الحديث، منها المؤتمر المنعقد في 2012 من قبل مؤسسة Getty للحفاظ (GCI) وتناول المؤتمر محاور عديدة للخروج بتوجهات تطبيقية لنظريات الحفاظ على التراث الحديث (Normandin, 2013)، وأصدرت أعداد ومجلات متخصصة في الحفاظ على التراث الحديث من مختلف المفكرين والكتاب حول كيفية واهمية الحفاظ على التراث الحديث (THE GCI NEWSLETTER, 2013).

8. من النظريات المتعلقة بالحفاظ

1.8. هدم الأبنية وأثره على مفهوم ذاكرة المدينة

يرى رسكن (Ruskin, 1989) أن المدينة تراكم تاريخي لحضارات مختلفة تتعاقب بالزمان وتمثل تراكم حقبات زمنية متعددة لكل منها أذواق مختلفة، ودعا إلى رفض أساليب الترميم الهادفة إلى توحيد أو تعميم طابع معماري، وحارب أساليب الحفاظ الداعية إلى وحدة الطراز Unit of Style بحيث يتم الحفاظ على طراز أحد الحقبات وتهمل الطرز الباقية. واهتم لينش بالصورة الانطباعية المتكونة في ذهن الإنسان نتيجة معايشته للمدينة أو أجزائها والمعالم المهمة فيها (Landmark) لفترات طويلة، وبخاصة نشاطات الناس وتفاعلهم الحسي والنوعية المرئية في المدينة والتي تتفاعل من خلال الذكريات والمعاني التي تحملها المدينة وفراغاتها الحضرية، وبأنها تحمل نفس أهمية العناصر الحسية (Lynch,1981). فعملية الهدم للأبنية ذات الطابع الحديث في مركز المدينة التراثي ما هي إلا عملية اقتطاع جزء من تاريخ المدينة ومعاصرتها وعدم احترام ذاكرة المدينة ولا تعدد المدارس المعمارية فيها (ابو الهيجا، 2011). وتؤكد الدراسات (Nasser, 2003) أن عبقرية المكان (Genius Loci) أحد أهم المنطلقات في الحفاظ على التراث، حيث لكل مكان هوية خاصة تحددها جوانب ثقافية واجتماعية واقتصادية وجمالية.

2.8. تمكين وسط المدينة التراثي اقتصاديا والمشاركة الشعبية

ولا بد عند الحديث عن أي عملية حفاظ على المناطق التاريخية ومراكز المدن التراثية، من الاهتمام بالتمكين الاقتصادي لسكان وقاطني هذه المناطق ليتمكنوا من الحفاظ على هذه الأبنية، عبر تعزيز الوضع الاقتصادي وتوفير فرص عمل، والحفاظ على إشغال هذه الأبنية التراثية واستمراريته (Tiesdell, 2001).

أما عن أهمية المشاركة الشعبية للسكان، فهو موضوع تم استقصاؤه في مباحث متعددة (خرفان، لونا، وبسمة المومني، 2011). فمشاركة السكان هي أمر مهم لأي مشروع من أجل التأكيد على ملكية المشروع المحلية وتعاون السكان وتحقيق التنمية المستدامة. فتؤكد الباحثة فاطمة النمري (Al Nammary, 2003) على أهمية رفع درجة الوعي ومشاركة السكان في اتخاذ القرار لتحفيزهم على الحفاظ وليكونوا جزءا منه مع بناء قدراتهم بالتدريب، وهذا مما يؤدي إلى فائدة حقيقية من مشاريع الحفاظ للسكان عوضا عن كونها مجرد عمليات تجميل.

وتؤكد سلسلة أبحاث مركز جيتي (Guetty) أن مشاركة السكان هي أحد أهم الوسائل للوصول إلى معرفة قيمة المكان- فلكل مكان قيمة أو مجموعة من القيم لابد من إدراكها بحيث تكون هي محور عملية الحفاظ. وتؤكد عدد من الدراسات أهمية المشاركة المحلية في مشاريع الحفاظ التراثي المرتبطة بالتنمية- وخصوصا في دول العالم النامية، حيث تكون السياحة التراثية أحد موارد الدولة الأساسية، فتؤكد أن تحقيق التنمية المستدامة لا يكون إلا بمشاركة المجتمع المحلي في التخطيط والتنفيذ لمشاريع الحفاظ السياحة التراثية (Nasser, 2003).

3.8. قيمة ودور المكان

كانت وثيقة بورا 1999 (Burra, 1999) هي الأولى من بين وثائق الأمم المتحدة التي ناقشت مفهوم المكان وقيمته في المواقع التاريخية بعمق بحيث أدخلت تطبيق أنواع القيم الثقافية المختلفة إلى مفهوم الحفاظ، كما أدخلت مفهوم المشاركة الشعبية. وقد تطور مفهوم القيمة عبر تطور الفكر الإنساني بحيث يتجاوز القيمة التاريخية أو الفنية ويتضمن قيما اجتماعية وثقافية وغيرها (Zancheti, 1997). ويعتبر مفهوم القيمة مفهوما متعدد الجوانب وغير ثابت، فالقيمة للمنشآت التراثية تتضمن عدة طبقات متتالية للقيمة: قيمة اجتماعية، قيمة ثقافية، قيمة جمالية، قيمة معمارية، قيمة محيط حضري، قيمة تاريخية، قيمة الإحساس بالمكان، وبالتأكيد قيمة اقتصادية (Lowenthal, 1981)، فلم تحدد القيمة للبناء إعتمادا على قيمته التاريخية فقط، بل يمكن لبناء

حديث أخذ القيمة نفسها إعتمادا على مجموعة القيم المرتبطة بأذهان الناس، وبالتالي فهي قيمة ارتباطية مشاركة في الشعور والاحساس بالمكان وتشكل جزءا من تراث المدينة، ومتخصصة ومشاركة في الهوية المجتمعية الوطنية، فليس الهدف من الحفاظ هو الحفاظ على المنشآت الفيزيائية المادية بحد ذاتها بمقدار الحفاظ على القيم التي تحملها هذه المنشآت والنابعة من المجتمع وقيمه (Lowenthal, 2000).

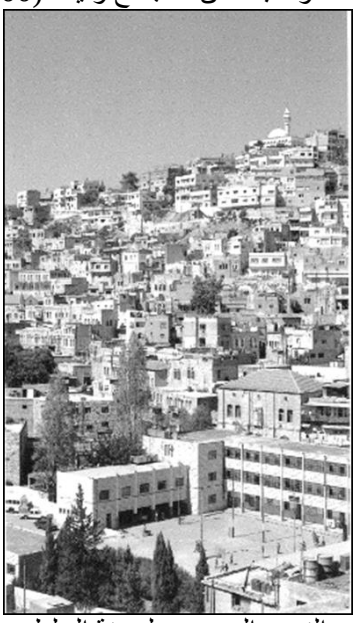

شكل (6): المدرسة وساحاتها ضمن النسيج الحضري لمدينة السلط ويمكن قراءة اللغة المعمارية الممثلة لعصر الحداثة-المصدر: الجمعية العلمية الملكية، 1990

9. مدرسة عقبة بن نافع

1.9. الموقع

بنيت مدرسة عقبة بن نافع بمنطقة حيوية جدا في وسط مدينة السلط على أرض مساحتها 7 دونمات[2] في نهاية الخمسينات، وبدأ العمل بالتدريس بها في بداية الستينات.

تقع المدرسة والأبنية المهدومة المحيطة بها والتي لا تزال بانتظار الهدم في وسط المدينة التراثي على أربعة شوارع، منها شارع الميدان الرئيسي للمدينة والقادم من العاصمة عمان والشوارع الأخرى في وسط المدينة التراثي، كما تقع على امتداد ساحة العين ومتحف أبو جابر التراثي، ويلاصقها المسجد الصغير العثماني الواقع في شارع الحمام العثماني، وتقابل المركز الثقافي في مدينة السلط.

وبما أن مدرسة عقبة بن نافع هي المدرسة الوحيدة الواقعة في وسط البلد فقد كانت تقوم على خدمة جميع الأحياء السكنية المختلفة الواقعة على الجبال المحيطة، ويلبي موقعها حاجة السكان نظرا لمركزيته وسهولة الوصول اليه سواء مشيا على الأقدام أو من خلال خطوط الحافلات في مختلف الاتجاهات.

2.9. مبنى وساحات المدرسة

وقد توسعت المدرسة على مراحل حتى أصبحت ممتدة على ثلاثة طوابق تحوي 29 فصل دراسي، وملاعب وساحات بمساحة 350 م2 تغطي حاجة 1100 طالب (وزارة التربية والتعليم، 2007)، بالإضافة إلى أهم الأبنية التي تعني المجتمع المحلي وهو المسرح والذي اعتبر الأول والوحيد في المدينة لفترة قريبة،

[2] الدونم يساوي 1000متر مربع.

وقد حلت ساحات المدرسة بموقعها المركزي مكان الملاعب لشباب المدينة حيث كانت تعقد فيها كافة مباريات المدارس والتدريب لكافة شباب السلط بغض النظر عن موقع مدرستهم.

3.9. اللغـــــة المعمارية

مثلت اللغة المعمارية التي بنيت بها المدرسة حقبتها الزمنية في الخمسينات والستينات حيث انتشر نمط العمارة الحديثة في الأبنية، فكان البناء خرسانيا مكسوا بالحجر الأبيض، تسيطر على واجهته الفتحات الشريطية الأفقية، كما يظهر نظامه الإنشائي "الموديول الهندسي" عبر بروزات الأعمدة والعقدات (البلاطات) عن جدران البناء كما يظهر بالأشكال رقم (6-7-8)، فكان باختصار مبنى مدرسيا معبرا عن فترته ولغته المعمارية بكل وضوح.

شكل (7): أبنية مدرسة عقبة بن نافع قبل الهدم – المصدر: مواقع من النت

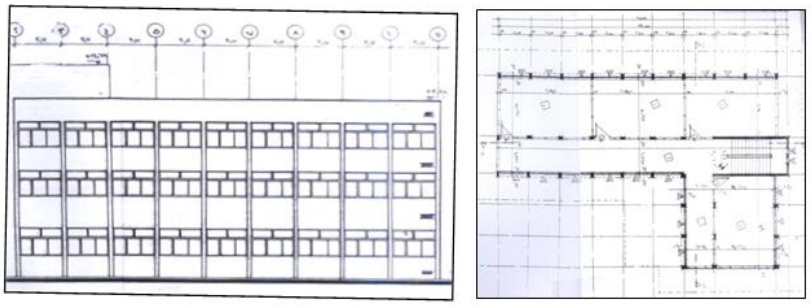

شكل (8): مخطط وواجهة لأحد أبنية المدرسة وتبدو بعض من ملامح العمارة الحديثة على الواجهة والمسقط - المصدر: تقرير وزارة التربية والتعليم، 2007

شكل (9): المنطقة بعد الهدم واستغلالها كمواقف للسيارات وتبدو بسطات الخضار وتجمع النفايات في الموقع. المصدر: الباحث 2013

10. الدراسة الميدانية

شملت الدراسة الميدانية مراقبة وإستبانات ومقابلات مع أهل العلاقة من أهالي السلط، ما بين التجار للمحلات الواقعة سواء في ساحة العين أو قرب مدرسة عقبة بن نافع، والتجار الذين تم استملاك محالهم للهدم، أيضا السكان حول الساحة وحول منطقة عقبة بن نافع، والمارين بالساحة، كما تم إجراء المقابلات مع معلمي مدرسة عقبة وآخر مدير لها، وأيضا مفتي مدينة السلط، موظفي الأبنية الحكومية، أهالي الطلبة في مدرسة عقبة وغيرهم كثير، بحيث شملت غالبية أصحاب العلاقة.

1.10. المراقبة

تم إجراء المراقبة والملاحظة للموقع على فترات مختلفة في شهري أيار وحزيران 2012، وروعي تنوع الأيام والساعات في عملية المراقبة والملاحظة.

2.10. المقابلات

قامت الدراسة بعمل العديد من المقابلات مع أهل العلاقة من الأطراف المختلفة، سواء أصحاب القرار من بلدية السلط الكبرى[3] والمهندسين[4]، والتجار المحيطين بالمدرسة ومنهم من تم استملاك محالهم للهدم، والعاملين في المدرسة وآخر مدير لها[5]، وموظفي مديرية التربية والتعليم، وأيضا شملت الطلبة وأهاليهم وخريجين سابقين من المدرسة.

3.10. الاستبانات

كما قام البحث بإجراء دراسة ميدانية على مجموعة من الأهالي والسكان للمناطق المحيطة بالمشروع، وأصحاب المحال التجارية المجاورين لمدرسة عقبة بن نافع والمارين في الشوارع المحيطة.

فتم توزيع 150 استبانة للتجار والمارة وخمسون مقابلة مع أهالي مدينة السلط القريبين من الساحة والمدرسة تناولت مايلي:

1.3.10. المعلومات العامة

عنهم وعن درجة تعليمهم، نوعية التجارة في المحال التجارية، هل هم من الملاّك ام الموظفين، منذ متى وهم في العمل، وهل غيروا نوعية البيع ومتى، هل هم من سكان مدينة السلط، علاقتهم بمدرسة عقبة بن نافع فيما اذا درسوا بها أم شاركوا بنشاطاتها ام لا علاقة لهم بها ومستوى دخولهم الشهرية.

2.3.10. محاور الدراسة

أ- أثر مشروع التطوير في وسط المدينة التراثي على الأهالي والتجار وظيفيا واقتصاديا وثقافيا.
ب- مدى أهمية مدرسة عقبة بن نافع بالنسبة لكل من الأهالي والتجار؟ وما أثر هدمها عليهم؟
ت- ما مدى مشاركة المجتمع المحلي بقرار الهدم وبرنامج المشروع ككل، وما مدى رضاه عنه؟

11. نتائج الدراسة الميدانية

1.11. نتائج المراقبة

لوحظ أن المثلث في منطقة عقبة بقي ساحة فارغة لأكثر من ست سنوات دون أي تدخل من البلدية. تستخدم نهارا مواقف لسيارات الموظفين، وبعد الظهيرة كمواقف للمتسوقين، ولكن مع قدوم الليل تصبح الساحة فارغة إلا من بسطات الخضار التي تفترش أجزاء من الساحة وحاويات القمامة، أما ليلا فتجد شوارع وساحات السلط عموما خالية من كل مظاهر الحياة إلا بعض تجمعات الشباب والسكارى في أواخر الليل، وشوهدت زجاجات من المشروبات الروحية ملقاة في الموقع عدة مرات في الصباح الباكر.

[3] مقابلة مع م لينا أبو سليم مديرة وحدة تطوير مشروع وسط مدينة السلط التراثي، 2012.
[4] مقابلة مع م إبراهيم محمد أمين، 2013.
[5] مقابلة مع د عبدالإله الجخبير آخر مدير للمدرسة، 2013.

2.11. نتائج المقابلات

1.2.11. أهمية مدرسة عقبة بن نافع

بناء على العديد من المقابلات التي أكدت بعضها البعض وعززتها الاستبانات فيمكن القول أن مبنى مدرسة عقبة بن نافع هو من الأبنية المهمة في وسط مدينة السلط ويمكن اعتباره معلم "Landmark" وأهميته ليست نابعه من قيمته المعمارية وإنما اعتمادا على الدور الذي لعبته المدرسة من وظيفتها والأحداث المرتبطة بها في حياة أهل المدينة، حيث تبينت أهمية دورها من خلال ما يلي:

2.2.11 اجتماعيا

لمدرسة عقبة بن نافع أهمية خاصة لدى أهل السلط عموما ومرتبطة بذكريات وأحداث هامة، حيث أن ساحتها كانت هي الملعب الشهير لكل شباب السلط الذين أقاموا فيها مباريات كرة القدم ووجدوا فيها مبتغاهم بديلا عن الحدائق والملاعب منذ بنائها ولتاريخ هدمها[6].

ولها من الذكريات الهامة المحفورة في قلوب الطلبة وأهاليهم، إذ أن ساحاتها ومسرحها الوحيد بالمدينة لفترة قريبة كانت تشهد الأحداث الهامة في مدينة السلط بكل مستوياتها، فقد كان جلالة المغفور له بإذن الله الملك الحسين بن طلال يتخذ ساحتها مكانا جماهيريا ليلقي خطبه على أهل السلط مطلا عليهم من نافذة إدارتها (زيد، 2014).

كما كانت ساحتها مكانا يشهد الأحداث الفنية والحفلات الغنائية، وكان بها أول مسرح في السلط شهد استقبال عبده موسى وسميرة توفيق وغيرهم مما يعطي هذا المكان أهمية اجتماعية وثقافية مطبوعة بذاكرة أهل المدينة[7].

3.2.11. وظيفيا

بما أن المدرسة تقع في وسط البلد وهي مدرسة أساسية، فقد كانت أهميتها أنها تخدم جزءا كبيرا من أهل السلط ومن مختلف الأحياء لسهولة الوصول إليها سواء مشيا أو باستخدام المواصلات التي تصب في وسط البلد مباشرة، وقد قامت مديرية التربية والتعليم بمحاولة لتوزيع الطلبة على المدارس الأخرى حسب مكان السكن، إلا أن هذا التوزيع تم نظريا، بينما على أرض الواقع كانت فيه مشاكل كثيرة أثرت على رضى الناس حيث لم يتم تأمين السكان بمدرسة أخرى بديله في المنطقة (الجغبير، 2013).

4.2.11. إقتصاديا

عملية نقل الطلبة كلفت الأهالي ماديا إذ أن عملية الوصول للمدارس البديله تتطلب استخدام المواصلات، أو التسجيل بإحدى المدارس الخاصة القريبة بدل استخدام المواصلات، وفي كلتا الحالتين فإن هناك تكلفة مادية إضافية على الأهل، ولو كان الأهل من ذوي الدخول المتدنية كإحدى عاملات النظافة التي قامت بذلك[8].

3.11. نتائج الاستبانات

1.3.11. أثر مشروع التطوير وهدم المدرسة على أهالي الطلبة والسكان

سيتم تبيان النتائج لأثر المشروع على السكان من النواحي التالية:

1.1.3.11 اجتماعيا

أ- عبر أهالي مدينة السلط بنسبة 80% من العينة التي تم استفتاؤها عن عدم رضاهم عن مشروع التطوير ككل، فالساحات غير ملائمة رغم أن فكرتها جيدة، إلا أنها أصبحت مكانا للشباب ذوي التصرفات غير المرغوبة، ولا تتناسب مع طبيعة أهل السلط المحافظين، كما يبدو في الشكل 10.

---

[6] مقابلة مع م إبراهيم محمد أمين، 2013.

[7] مقابلة مع المرحومة الحاجة نعمت العطيات، مديرة مركز الأيتام بالسلط، تموز 2013.

[8] عبر عدة مقابلات أجريت مع أهالي الطلبة الذين نقلوا أبناءهم من مدرسة عقبة إلى مدارس أخرى بعد الهدم ومن بينهم عاملة نظافة في إحدى المدارس.

ب- 42% من العينة أكدوا أنهم مع التطوير، لكنهم يتمنون تطويرا حقيقيا يتناسب مع المدينة وسكانها ويحل مشاكلها، وقد تكرر مصطلح عدة مرات بوضوح: وهو أن ما جرى ليس تطوير وإنما "تدمير" كما أفاد العديد من السكان. أنظر شكل رقم 10.

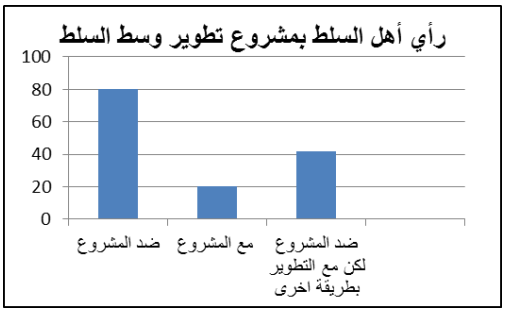

شكل (10): رأي السكان بمشروع التطوير

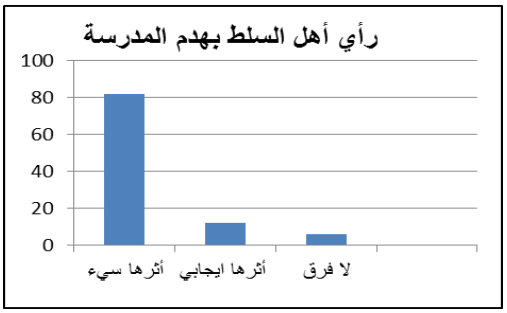

شكل (11): رأي السكان بهدم المدرسة

2.1.3.11. وظيفيا

عبّر السكان وأهالي الطلبة بنسبة 82% من العينة المستفتاة رفضهم هدم المدرسة وذلك لحاجة المنطقة الماسة لوجودها وظيفيا، كما يتبين من الشكل رقم 11، حيث أن الأهل قد اعتادوا على ذهاب أبنائهم بمفردهم اليها مشيا على الأقدام، وعامل الاطمئنان موجود لديهم، أما بعد هدمها فلم يتوفر لديهم بديل مناسب وقريب رغم محاولة التربية والتعليم توزيع الطلبة على المدارس الأقرب حسب مناطق سكنهم إلا أن هذا التوزيع لم يكن مجديا على الغالب كما يظهر الشكل رقم 12.

وفي مقابلة مع مسؤولين في التربية ومدير المدرسة السابق تم تأكيد عمل دراسة لاستيعاب الطلبة في المدارس المحيطة، وتم الترتيب لتقوم المدارس المحيطة بزيادة سعتها الصفية وبناء عدة صفوف حسب الترتيب، إلا أن عدم قدرة هذه المدارس على الاستيعاب وعدم تغطيتها لحاجة الأهالي قلل من الكفاءة الفعلية لهذه الخطة.

3.1.3.11. وجدانيا وذاكرة المدينة

كثيرا ما وردت مصطلحات أثناء المقابلات مع أهالي السلط فيها الكثير من الحنين والعاطفة المقرونة بالإحساس العميق بالخسارة للمدرسة، فقد ورد وصف المدرسة وتشبيهها بكلمة "الأم" عدة مرات، كما وردت كلمة "مثل بيتي" أو كأنهم هدوا بيتي"، أحدهم وصفها "ببيت الجد"، بالإضافة إلى التكرار الشديد إلى جملة "تدمير مش تطوير" وكأنها أصبحت كلمة متعارفة عند أهل السلط، وغيرها من الكلمات المعبرة عن مدى الخسارة من جراء هدم المدرسة التي تشكل جزءا رئيسا من ذكرياتهم وشبابهم، حيث درسوا بها ولعبوا بها مباريات كرة القدم، كما أنهم شهدوا الأحداث المهمة في المدينة على مسرحها وفي ساحتها، فمن لم يدرس بها كان قد لعب بساحاتها أو اشترك بالنشاطات فيها.

وبالتالي فهي تمثل حقبة من مرحلة الشباب لسكان أهل السلط على اختلاف أعمارهم، ولذا كانت نسبة الرفض بالاستبانة لهدم المدرسة تبلغ 100% لمن درسوا بها أو لهم أي نوع من أنواع العلاقة بها، بينما

بلغت 82% من مجموع العينة ككل، مع ملاحظة أن ال 18% من العينة الذين اعتبروا أن هدم المدرسة كان جيدا بسبب توفير مواقف سيارات بدلا منها لوسط البلد، وهم من التجار ومن الفئة التي لا علاقة لها بالمدرسة أبدا كما يتبين من الشكل رقم 11.

4.1.3.11. إقتصاديا

أفاد ما نسبته 72% من أهالي الطلبة أن عملية هدم مدرسة عقبة بن نافع قد أثرت على السكان بالمناطق المحيطة سلبا كما يظهر في الشكل رقم (12)، حيث أن موقع المدرسة المركزي في وسط المدينة قد ناسب جميع سكان الجبال والمناطق المحيطة لسهولة الوصول لها مشيا على الاقدام، إلا أن عدم توفر بدائل للمدرسة في وسط المدينة دعا الأهالي الى تسجيل أبنائهم في مدارس الجبال المحيطة مع استخدام المواصلات، بينما فضل البعض لصعوبة المواصلات اللجوء الى المدارس الخاصة في نفس منطقته السكنية لعدم توفر مدارس بديلة، وفي كلتا الحالتين فالنتيجة تكلفة اقتصادية اضافية على السكان.

2.3.11. أثر مشروع التطوير على قوة الحركة الشرائية بالنسبة للتجار

تبين أن غالبية فئة التجارهم من أصحاب الدخول المتوسطة والمتدنية كما يبدو من الشكل رقم 13، وبالتالي فإن أي تغيير ولو محدود على الحركة التجارية يضر بهم ويظهر أثره عليهم مباشرة.

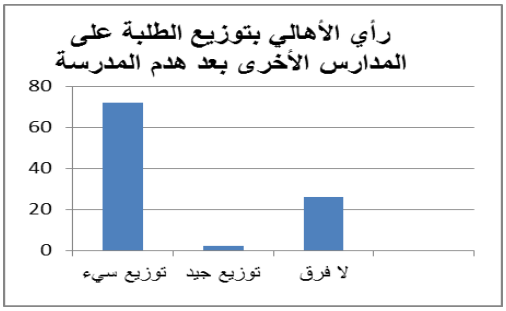

شكل (12): رأي الأهالي بحسن إدارة الطلبة وتوزيعهم بعد الهدم

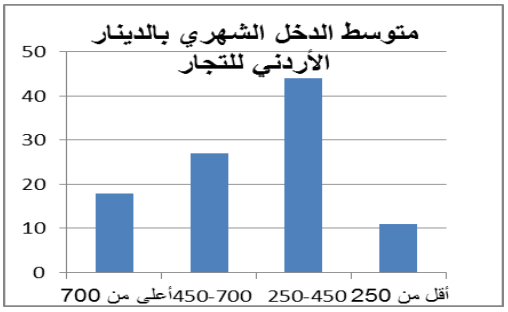

شكل (13): متوسط الدخل الشهري للتجار

1.2.3.11. إضعاف الحركة الشرائية

رأى 62% من التجار أن هدم مدرسة عقبة قد أضعف الحركة التجارية، انظر الشكل رقم 14. حيث أن حركة أكثر من ألف طالب صباحا ومساء تؤدي إلى حركة تجارية في السوق المجاور، وبعد الهدم اضطر بعض التجار إلى تغيير نوعية البيع لعدم ملاءمته للوضع الجديد، مثل تغيير محل من مطعم للسندويتشات إلى بيع أدوات منزلية.

2.2.3.11. تقوية الحركة الشرائية

بينما رأى البعض وهم القلة بنسبة 14% إيجابية في الهدم وتقوية للحركة الشرائية.

ذلك أن الزبائن أصبح بإمكانها الاصطفاف بالساحة مكان المدرسة والشراء بحرية، وبالتالي ، لكنهم يؤكدون أن الحل الأفضل كان بإيجاد مواقف للسيارات دون هدم المدرسة. مع ملاحظة أن جميع من وافق على هدم المدرسة هم ممن لم يكن لديهم أي ارتباط بالمدرسة لا من ناحية الدراسة بها ولا استخدام مرافقها وساحاتها، شكل 14.

3.2.3.11. عدم تغير القوة الشرائية

يوضح الشكل رقم 14 أنه لم يتأثر حوالي 24% بعملية الهدم سلبا أو إيجابا فالأمر بالنسبة لهم سيان. وقد عللوا ذلك بأن الضعف الحاصل في القوة الشرائية بغياب الطلبة عوضه ارتفاع من المتسوقين بسبب وجود مواقف للسيارات مما يشجع المواطنين على الاصطفاف والشراء بحرية دون الخوف من مخالفات رقيب السير.

4.2.3.11. أثر المشروع على المحال التجارية بإغلاقها وهدمها

احتج كثير من أصحاب المحال التجارية حيث قامت عدة اعتصامات واحتجاجات[9] على قرار الهدم كونه يصيبهم بالضرر، إذ أن الجزء الأكبر من التعويضات تذهب لمالكي الأبنية التجارية وليس للتجار المتضررين المستأجرين لمحلاتهم وبخاصة أن منهم من له بالمحل منذ الستينات وقيمة ما يحصلون عليه من التعويضات هزيلة جدا لا تتناسب مع قيمة محلاتهم وعمرها في المنطقة وخسارتهم لمواقعها، وبقيت المشاكل معلقة لغاية بداية 2014 حتى حكمت المحكمة لصالح البلدية وعادت إجراءات الهدم تأخذ مسارها لبناء المشروع الذي تم وعد العديد من أصحاب المحال بالتعويض لهم بمحلات جديدة في المشروع، إلا أن الوعد لم يتحقق في المشروع الجديد حيث لا يوجد محلات إلا قليلة جدا وبهدف بيع الخضرة.

3.3.11. غياب مبدأ التشاركية مع المجتمع المحلي

اتضح من خلال الدراسة والاستبانات أن نسبة 100% من العينة المستفتاة لم يتم أخذ رأيهم به قبل الإجراء به، كما يتبين من الرسم البياني رقم (15).

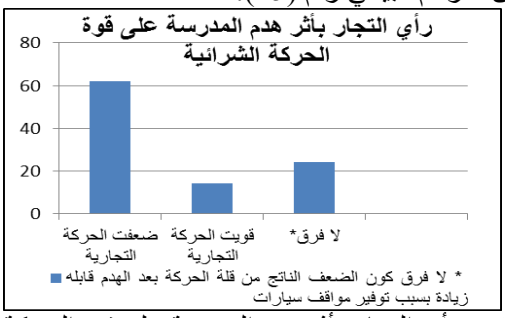

شكل (14): رأي التجار بأثر هدم المدرسة على قوة الحركة الشرائية

[9] عدة مواقع إخبارية وصحف محلية ذكرت أنه قامت العديد من المظاهرات والاعتصامات في أوقات ومواقع مختلفة وتم تقديم العديد من عرائض الاحتجاج من قبل التجار وعائلاتهم حول هدم الأبنية التجارية:
ساحة عقبة بن نافع بالسلط...من الإهمال إلى التدمير، موقع أبناء البلقاء الإخباري، 12-3-2012.
أيضا خبر صحفي، 2010، تجار السلط يحتجون على عمليات هدم 280 محلا بالمدينة، جريدة الرأي نيوز، بتاريخ 12-10-2010

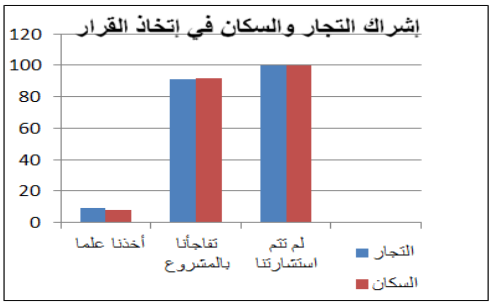

شكل (15): مستوى المشاركة الشعبية في القرارات

4.3.11. مواءمة المشروع لاحتياجات المجتمع المحلي

من خلال الاستبيانات والمقابلات تبين أن أهم أولوية لأهل المدينة هي حل المشكلة المرورية تليها إعادة الأبنية الحكومية للساحة نظرا لعدم حل الأزمة المرورية بنقلها، كما أخذت تأمين مواقف للسيارات أولوية ثالثة بالأهمية لدى السكان، ومن ثم إعادة الأمان إلى وسط المدينة كما في الشكل رقم 16.

يلاحظ أن من أهم أهداف المشروع حل المشكلة المرورية بالسلط، ولهذا فقد كان قرار نقل الأبنية الحكومية خارج وسط المدينة تخفيفا للأزمة، إلا أنه كما تبين من النتيجة أنه لم يحظ بالنجاح حيث لا زالت الأزمة قائمة.

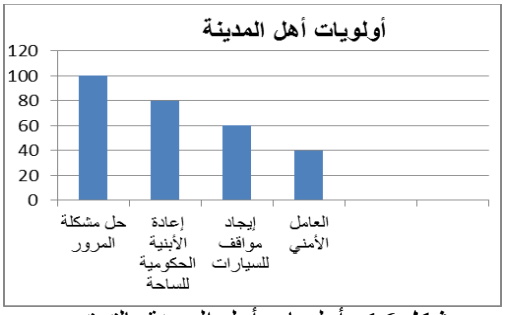

شكل 16: أولويات أهل المدينة بالترتيب

12. النتائـــج

من الرجوع للدراسات النظرية والأدبيات إضافة إلى ما توصلت له الدراسة من نتائج الدراسة الميدانية، فإن الدراسة توصلت إلى النتائج التالية:

1.12. مبنى مدرسة عقبة بن نافع هو من أهم أبنية التراث الحديث المرتبط بذاكرة مدينة السلط

1. نظرا للحقبة الزمنية التي بني فيها المبنى وهي حقبة الحداثة في بداية الستينات، ونظرا للغة المعمارية التي يحملها المبنى والتي تجسد فترة الحداثة، ومن خلال فهم الأدوار التي لعبتها مدرسة عقبة بم نافع وأهميتها للسكان، فقد تبين جليا أن قيمة المبنى تتعدى قيمة البناء المدرسي حيث تتجلى فيه قيم ثقافية واجتماعية ووظيفية مما يجعله من أهم أبنية التراث الحديث ذات القيم المتعددة في وسط مدينة السلط، ومعلما هاما مرتبطا بالذاكرة الجمعية للسكان في وسط المدينة.
2. إن عملية هدم مبنى يحمل هذه القيم إنما يعبر عن عدم احترام الحقبات التاريخية للمدينة، ويمحو ذاكرة المدينة وطمس المعالم ومراحل التاريخ المختلفة فيها، خاصة أن هدمه جاء ضمن سلسلة من هدم أبنية الحداثة في وسط المدينة التراثي.

2.12. أهمية مواءمة مشاريع التطوير لاحتياجات المجتمع المحلي

1. كان على الحل المقترح توفير الأولوية المهمة لدى أصحاب العلاقة وهي توفير موقف سيارات مركزي يخدم كل المنطقة أو توفير عدة مواقف موزعة في المنطقة كافية لأهالي السلط، مع العلم أن المشروع قد أمن مواقف للسيارات ولكن ليس بالعدد الكافي للمنطقة.
2. كان على المشروع المقترح مراعاة الحاجات الوظيفية للطلبة بتوفير بديل عن المدرسة المهدومة في نفس المنطقة، بدل توزيع الطلبة على المدارس المحيطة التي لم تكن بديلا حقيقيا.
3. كان على الحل المقترح تأمين محال تجارية بديلة عن تلك التي هدمت والتي تضرر أصحابها بسبب المشروع.

3.12. قصور الدراسات في ظل غياب المخطط الشمولي

1. إن البعد الزمني بين الدراسة والتطبيق قد ألقى بظلاله سلبا على المشروع، إذ أن كثيرا من الاعتبارات والقيم قد تغيرت بين الدراسة التي أقيمت في 1990 والتوصية بهدم المدرسة التي لم تكن بعد قد أخذت تلك الأهمية والقيمة لدى السكان والتي تزايدت مع الزمن، وبين تنفيذ المشروع في 2014.
2. من أهم مشاكل عمليات الحفاظ في السلط وفي الأردن أن عمليات الحفاظ تجرى على أجزاء أو مواقع تراثية بشكل فردي دون أن يكون ضمن خطة ودراسة هيكلية للمواقع كامله، ودونما دراسة لتقييم الأثر على المجتمع المحلي، ومن مختلف النواحي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها.
3. تبين خطأ الدراسة المنفذة من قبل البلدية بشأن تخفيف الأزمة المرورية عبر نقل الأبنية الحكومية، حيث أن الأزمة بقيت مستمرة كون وسط البلد هو الممر الطبيعي واليومي لأهل المدينة في تنقلاتهم عبر أجزاء المدينة فكانت الحاجة إلى عمل دراسة مرورية شاملة للمدينة لا على جزء من مشروع التطوير في وسط البلد، وبالتالي فهو غياب التخطيط الهيكلي للمدينة والتعامل مع الأجزاء بدل الكل.
4. وانعكس غياب المخطط الشمولي أيضا على توزيع احتياجات المدينة في الوسط التراثي كمواقف السيارات، إذ أنه لم تتم مراعاة أولويات أهل المدينة بوجود مواقف للسيارات في وسط المدينة، والذي يدعو جديا إما بتأمين عدة مواقف في أماكن متفرقة في وسط المدينة أو بتأمين موقف مركزي فيها كما قام السكان باستخدام مثلث عقبة كمواقف للسيارات، ودون استشارة البلدية كردة فعل طبيعية لتلبية احتياجاتهم، وهذا ما لم يأخذه المشروع قيد الإنشاء في اعتباره.

4.12. أهمية التمكين الاقتصادي لوسط المدينة التراثي

إن الضرر الواقع على تجار وسط المدينة؛ سواء بتقليل الحركة التجارية أو بهدم محلاتهم ودفع تعويضات تذهب بغالبها لملّاكي الأبنية لا إلى التجار أنفسهم، ودون تعويض المشروع المنوي إقامته بمحلات بديلة، لهو بحد ذاته ناقوس خطر بأن عملية التطوير هذه لا تحقق لتجار وسط البلد تمكينا اقتصاديا كما هو متفق عليه في المعايير العالمية، مما يفسر مصطلح "تدمير أو تخريب" بدل مصطلح "تطوير".

5.12. الاستدامة في الحفاظ

من أهم الأهداف التي تقوم عليها عمليات الحفاظ هي الاستدامة، وعملية هدم الأبنية بحد ذاتها هي عملية غير مستدامة، إذ كان بإمكان المصمم للمشروع المقترح إعادة استخدام أبنية وساحات المدرسة مع تطوير الموقع حولها لتتناسب مع عمليات التطوير دون الهدم، وإيجاد البديل عنها بموقع قريب في وسط المدينة خدمة للأهالي.

6.12. غياب مبدأ التشاركية مع المجتمع في أخذ القرار

إن المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار من أهم عوامل نجاح أي مشروع يتعلق بالمدينة لأن المشاريع حينها تكون موجهة لخدمة الناس وتجد من يدافع عنها بدل الاحتجاجات المستمرة والاعاقات من قبل السكان. وهذا ما أدى إلى عدم تقبل المجتمع للمشروع بصورة واضحة، مما يطرح موضوع المشاركة الشعبية في عملية أخذ القرار بالمشروع وإجراء الهدم مما يؤثر جليا على مقدار الرضى الشعبي للعملية، ويتضح أن رضى السكان والناس لم يكن هدفا.

13 . التوصيات

1. لا يزال الأردن كغالبية الدول العربية لا يعترف بأبنية التراث الحديث (Modern Heritage Buildings)، ولذلك فإن هذه الورقة توصي باهتمام المشرعين في الأردن بأبنية التراث الحديث عبر إيجاد المعايير والتصنيفات اللازمة لها، ومن ثم إدخالها ضمن القوانين المشرعة لنضمن لها الحماية من الهدم.
2. إن ما حدث مع مدرسة عقبة بن نافع قابل للتكرار مع العديد من أبنية التراث الحديث التي تعتبر من معالم مدينة السلط، وهذا ما يدعو إلى أهمية رصدها سواء في السلط أومختلف المدن الأردنية حفاظا عليها في أي مشاريع تطوير لاحقة وإعطائها حقها من الاهتمام والتصنيف ومن ثم بالحفاظ لحمايتها.
3. أهمية أن تتم مشاريع التطوير القادمة في السلط وفي المدن الأردنية عبر دراسة شمولية ومخططات هيكلية كي تتناغم هذه المشاريع بجزئياتها مع المدينة واحتياجات ساكنيها ككل.
4. ضرورة احتواء فريق الدراسة على خبراء اقتصاديين واجتماعيين إضافة إلى المخططين والمهندسين لعدم إغفال الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لأي مشروع حيث نتج الضرر الاقتصادي ونقص الخدمات.

المراجع العربية

[1] أبو الهيجا، أحمد، 2011، "أساليب ومعايير حماية التراث العمراني والمعماري دراسات وخبرات تطبيقية"، منشورات جامعة فيلادلفيا.
[2] الجمعية العلمية الملكية، 1990، "السلط خطة عمل"، من منشورات الجمعية العلمية الملكية.
[3] الشوملي، ميساء، 2014، أثر تطوير مراكز المدن التراثية على تغير دور وقيمة المكان: مشروع تطوير ساحة العين في وسط مدينة السلط، مجلة العلوم الهندسية لجامعة دمشق، 2014.
[4] القاضي، د. جليلة، 2006، "مدن وأحياء نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في جنوب حوض البحر المتوسط: تراث لمن ولماذا؟" ، المؤتمر الرابع لهيئة المعماريين العرب: حلب بين التراث والمعاصرة، 14-2006/16، ص 137.
[5] بلدية السلط الكبرى، 2004، دراسة تطوير المدينة، غير منشور.
[6] بلدية السلط الكبرى، 2006، مشروع تطوير وسط مدينة السلط التراثي، غير منشور.
[7] زيد، صفا، 2014، السلط كما عرفت، مخطوط غير منشور، متاح عبر الرابط:
www.4shared.com/folder/PmEkQLI/_online
[8] موسوعة ويكيبيديا ، 2014، التراث الحديث Docomomo الدولية، " الموسوعة الحرة، للاطلاع:
http://translate.google.jo/translate?hl=ar&sl=en&u=http://en.wikipedia.org/wiki/Docomomo_International&prev=/search%3Fq%3Ddocomomo%26biw%3D1024%26bih%3D499
[9] خرفان، لونا، وبسمة المومني، 2011، البيئة الحضرية في عمان، الأردن: تقييم التخطيط الحضري التشاركي، جامعة واترلو.
[10] وزارة السياحة والآثار، 2004، تقرير "مشاريع التطوير السياحي- الانجازات"، غير منشور.
[11] وزارة التربية والتعليم، 2007، مدرسة عقبة بن نافع، تقرير غير منشور.

المراجع الإنجليزية

[12] Al Nammari, Fatima, 2003, The Preservation of Vernacular Architecture in Jordan: Development Chances Lost, US/ICOMOS.
[13] BURRA Charter, 1999, (*Australia Charter*), The Australia ICOMOS Charter for Places of Cultural Significance.
[14] Loach, Judi, 2009, Why we have to protect our modern buildings, in, Wales Online, Cardiff University.
[15] Lowenthal, D. and Binney, M., 1981 , "Our Past Before Us – Why Do We Save It?" 1981, Temple Smith, London.

[16] *Lowenthal, David, 2000* ,Stewarding the Past in a Perplexing Present, in The Getty Conservation Institute, Research Report, Los Angeles, P 18
[17] Lynch, Kevin, 1981 , A Theory of Good City Form , 7th edition , the MIT press , London, England.
[18] [10]Nasser, Nuha, 2003, Planning for Urban Heritage Places: Reconciling Conservation, Tourism, and Sustainable Development, in Journal of Planning Literature, available at: http://www.depts.ttu.edu/museuMTTU/CFASWebsite/H7000%20folder/Readings%20Heritage%20Tourism%202010/H%20Planning_Urban_tourism_conservation_Nasser%202003.pdf
[19] Normandin, Kyle, and Susan Macdonald, "A Colloquium to Advance the Practice of Conserving Modern Heritage", The Getty Center, Los Angeles, California, March 6-7, 2013.
[20] THE GCI NEWSLETTER, 2013, CONSERVATION PERSPECTIVES, Conserving Modern Architecture, volume 28 • number 1 • spring 2013.
[21] Prudon, Theodore, 2008, Preservation of Modern Architecture, Wiley. the winner of the Association for Preservation Technology Lee Nelson Book Award.
[22] Ruskin, J, 1989, The seven Lamps of Architecture, New York, Dover Publication.
[23] Tiesdell, Steven, Taner Oc & Tim Heath, "Revitalizing Historic Urban Quarters", 2001, Third Published.
[24] (Guetty) سلسلة أبحاث مركز
[25] Zancheti, Silvio Mendes and Jukka Jokilehto, "Values and Urban Conservation Planning: Some Reflections on Principles and Definitions*" Journal of Architectural Conservation* No1 (March 1997): 37-51.

THE IMPACT OF HERITAGE-BASED DEVELOPMENT PROJECTS IN CITY CENTERS ON LOCAL COMMUNITIES THE CASE OF UQBA BIN NAFI AREA DEVELOPMENT PROJECT, AS-SALT

ABSTRACT

The Hashemite Kingdom of Jordan signed agreements with the World Bank, Japan and other donor countries to conduct development projects in historic city centers, including As-Salt Historic City Center Development Project, which included the demolition of modern buildings constructed in the sixties and the seventies of the last century. This incorporated the demolition of "Uqba Bin Nafi" school, an international style hybrid built in 1960, in addition to the demolition of surrounding modern commercial buildings, known as "Uqba Triangle", in order to create open urban spaces and some services. This project has attracted criticism from local residents and shopkeepers.

Consequently, this paper raises several questions:

1. What is the impact of this project on the local community, functionally, economically and culturally?
2. Is the project responsive to the needs and priorities of the local community?
3. To what extent did the local community participate in the demolition decision and other aspects of the project? Are they satisfied with the project?
4. Did "Oqba Bin Nafi'" school hold significance and value to the local community thus warranting its conservation rather than demolition?

This paper uses a multi-method approach, utilizing statistical analysis, ethnography, and historical methods. The enquiry bases its critique on conservation charters and modern heritage theories, and tackles the status quo through questionnaires, interviews and field observations.

The results emphasize the need to have an urban development strategy for the city so that urban heritage conservation projects are part of such a development strategy that is rooted in a community-based vision. This current project-by-project approach leads to projects that are not responsive to the needs of the city and its people. Consequently, the recommendations emphasize the importance of public participation in order to meet people's needs and achieve better satisfaction.

This paper brings to attention the negative urban consequences of the demolition of modern heritage buildings. Often considered nonessential within the historic fabric, the results caution against the undermining of the values modern buildings hold or their role in the urban structure.

Finally, the study emphasizes the significance of having a multi-disciplinary team, including economists, social workers, planners and architects. It is important not to overlook the economic and social feasibility of the interventions, and avoid the fixation on the aesthetics of the urban setting to prevent similar negative impacts on the local community.

Key words: As-Salt, Arab cities, Saha - plaza, architectural conservation, cultural heritage, heritage city centers, heritage site planning, the value and the role of place, memory of the city, modern heritage buildings.